

## براديجما الخطاب الديني الإعلامي وأيديولوجية الصراع

### الاعلام المصري أنموذجا

## Paradigma Religious Media Discourse and Ideology of Conflict

### Egyptian media as a model

زهية شويشي \*

<sup>1</sup> جامعة سطيف 2 (الجزائر)، chouichizahia@gmail.com

Chouichi Zahia \*

University of Setif 2 (Algeria)

تاريخ الاستلام: 2021/05/06 تاريخ القبول: 2021/12/15 تاريخ النشر: 2022/01/15

**ملخص:** نحاول من خلال هذه الورقة البحثية قراءة السياق الذي أدى إلى ظهور الخطاب الديني كمنتج دعائي إعلامي في العالم العربي، والذي أصبح يمر بحالة من الغموض في المعاني والمعالن من خلال الأطر الأيديولوجية التي ينتهجها، حيث أصبح من الصعب التفريق بين نموذج الخطاب الديني المبني على القيم السليمة التي يسير عليها الفقهاء، والخطابات التي ينتهجها العلمانيون واليساريون والمراهقون في هذا المجال من خلال استغلالهم للمنابر الإعلامية التي يشاهدها ملايين الناس في العالم العربي عامة ومصر خاصة والتي أصبحت خطابات عبثية، تخلط الأشياء المقدسة عند المسلمين.

حيث أصبح الخطاب الديني المعاصر حسب عدد كبير من الملاحظين يعاني نقصا كبيرا على مستوى الشكل، والمضمون المعالج، ويكمن الخلل في رأي المختصين على مستوى بنية ذلك الخطاب، والذي أصبح لا يتعدى شكله وجوهره مستوى القائمين عليه، ولذلك فالأزمة التي يعاني منها الخطاب الديني على الصعيد الإعلامي الحالي هي أزمة مرجعية متناقضة مع جوهر الخطاب الديني السليم، كون الخطاب الديني الذي يرد عبر بعض وسائل الاعلام العربي عموما والمصري خصوصا، خطاب ينطلق من مرجعيات وأدبيات غريبة، وإلى حد ما نستطيع القول أن خطابا دينيا إعلاميا بالمفهوم العلماني الليبرالي في بعض الدول العربية وتحديدا مصر، هو من أصبح سائدا في وسائل الاعلام المصرية العمومية والخاصة.

**الكلمات المفتاحية:** (الخطاب الديني، الاتصال، الآليات الاتصالية، الاعلام، الاعلام المصري).

**Abstract:** Through this research paper, we try to read the context that led to the emergence of religious discourse as a propaganda product in the Arab world, and which is passing through a state of ambiguity in the meanings and landmarks through the ideological frameworks that it pursues, as it became difficult to differentiate between the religious discourse model based on sound values. Which the jurists follow, and the discourses of secularists, leftists and adolescents in this field through their exploitation of the media platforms that millions of people watch in the Arab world in general and Egypt in particular, which have become absurd speeches, mixing sacred things for Muslims.

As the contemporary religious discourse has become, according to a large number of observers, a great deficiency in terms of form and content treated, and the defect lies in the opinion of specialists at the level of the structure of that discourse, and its form and essence does not exceed the level of those in charge of it, and therefore the crisis that the religious discourse suffers from at the level The current media is a reference crisis that contradicts the essence of sound religious discourse, the fact that the religious discourse that appears through some Arab media in general and Egyptian media in particular, is a discourse based on Western references and literature, and to some extent we can say that a religious media discourse is in the liberal secular concept in some Arab countries, specifically. Egypt is what has become prevalent in the Egyptian public and private media.

**Keywords:** Religious Discourse, Communication, Communication Mechanisms, Media, Egyptian Media.

## 1- مقدمة:

مما لا شك فيه بأن المغالاة في الخطابات الدينية من خلال المنابر الإعلامية تجسدت في الأمور المتعلقة بالمعاملات وشؤون الحياة اليومية، وأيضاً المتعلقة بالخطاب السياسي، الذي لم تعد أفكاره مستوحاة من واقع الحال والمعطى التاريخي الذي تعيش فيه، بل مرتبطة بفكرة الحل والعقد الذي تمارسه بعض الجهات مستغلة الأليات الإعلامية. فمثلاً فكرة الأحزاب السياسية، وفكرة قبولها أو رفضها لمختلف تطبيقات الشورى المعاصرة لا يمكن القول بأنها مرفوضة من الفقه الإسلامي، فالقرآن نص على الشورى لكنه لم يحدد وسائل تطبيقها والمؤكد أنها ستختلف باختلاف المجتمع وظروفه وسهولة الاتصال به عبر مختلف القنوات.

وينظر إلى الخطاب الديني اليوم على أنه أصبح يمر بمرحلة صعبة، بل ودخل في نفق مظلم، ويشوبه نوع من الغموض الذي يحتاج إلى تفكيك، حيث يعاني الخطاب الديني كنموذج إعلامي معاصر، من الارتباك والخلط الواضح بين العقيدة والعموميات في حياة الناس، وبين الثابت والمتغير، والمثير في الموضوع أن هناك من يريدون مصادرة الحق في الخطاب الديني لصالحهم وعلى حساب الآخرين، فقد جعلوا من فكرة الخطاب الديني المباشر مع الناس مسألة محتكرة، مما وضع ذلك الخطاب في أزمة حقيقية وسعت المسافة المحتكرين وبين المتابعين لهم عبر وسائل الاتصال المختلفة، حيث تباعدت الأفكار بين الدعاة وجمهور الناس، مما جعل الخطاب الديني يدخل في دائرة المخاطر، حيث تنوعت صور الخطاب بين السلفي والجهادي والسياسي ما خلق جو من البلبلة وانعدام الرؤية الواضحة أمام الناس، ويمكن هنا رصد مخاطر تعدد الخطاب الديني على المستوى الإعلامي بين فصيلين: الأول يتعلق بطبيعة المتلقي وإذا كان متديناً، أو عندما يكون بعيد عن الدين والالتزام. في المستوى الأول أحدثت الخطب الدينية الاتصالية نوع من الارتباك والحيرة وهو الشيء الذي نتج عنه قبول كل أنواع الخطابات، والتي يصادر فيها رجال الدين الآراء، من أصحاب الفكر المغاير في مناقشة هذا الخطاب بدعوى أنه خطاب يتصف بالوجوب والحرمة، ومما لا ريب فيه أن المغالاة في هذا الرأي لا تحتاج إلى إيضاح لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بشق المعاملات أو أمور الحياة، وأكبر منافس لآراء الفقهاء في تلك السياقات رجال السياسة، فالخطاب السياسي والذي ينظر إليه على أنه مجرد رؤية فكرية مستوحاة من قواعد كلية عامة ومجردة، قابلة في تطبيقها للتغيير من حيث شكل التطبيق، بتغيير ظروف الحال والواقع والمعطى التاريخي الذي تعيش فيه الشعوب، فأهل الحل والعقد في مثل هذه الحالات من الممكن أن يكونوا من رجال السياسة والثقافة وغيرهم لا فقط من رجال الدين والفقهاء، شرط أن تتوفر فيهم الشروط اللازمة بشق المعاملات أو أمور الحياة، وأكبر منافس لآراء الفقهاء في تلك السياقات رجال السياسة، فالخطاب السياسي والذي ينظر على أنه مجرد رؤية فكرية مستوحاة من قواعد كلية عامة ومجردة، قابلة في تطبيقها للتغيير من حيث شكل التطبيق بتغيير ظروف الحال والواقع والمعطى التاريخي الذي تعيش فيه الشعوب، فأهل الحل والعقد في مثل هذه الحالات من الممكن أن يكونوا من رجال السياسة والثقافة وغيرهم لا فقط من رجال الدين والفقهاء، شرط أن تتوفر فيهم الشروط اللازمة

فمثلاً فكرة الأحزاب السياسية ومدى إمكانية قبولها أو رفضها لتطبيقات الشورى المعاصرة، لا يمكن القول إنها مرفوضة من الفقه الإسلامي، فالقرآن نص على الشورى كمبدأ، ولكن لم يحدد وسائل تطبيقها، والمؤكد أنها

ستختلف بزيادة عدد السكان وظروف كل مجتمع، وسهولة الاتصال والسفر والتنقل. ناهيك عن قصور بعض الفقهاء عن إيصال أفكاره للناس.

بينما يرى آخرون بأنه وفي حالة تعدد مصادر الخطاب الاسلامي ومنها الإعلامي طبعاً، لا يجب أن تتحول هذه الظاهرة إلى الفوضى في الخطاب الديني، ومن ثم يتعين وضع الأمور في نصابها، وذلك الخطاب الديني فيما يصدر عن العلماء المتخصصين في ثقافة الإسلام فقها وأصولاً وعقيدة وعلماً بالقرآن والسنة، فضلاً عن العلم باللغة والتاريخ الإسلامي، فتوفر هذه الشروط من شأنه فقط المساعدة على إنشاء خطاب ديني فكري يليق باسم الإسلام، وذلك لقطع الطريق أمام ظاهرة تسويق الخطاب الديني الإسلامي على أيدي أشباه الدعاة، أو الذين تسخرهم جهات سياسية وإعلامية وحتى أمنية للكيد للإسلام والمسلمين من أجل نشر الفتنة،

من هـ ولأجل نشر خطاب ديني متوازن يتماشى مع العصر لابد أن تتوفر مجموعة من الشروط في منتجي الخطابات خاصة المستغلة من طرف الأليات الإعلامية المختلفة، وهي أن تكون تلك الخطابات ممنهجة بطرق موضوعية حتى تصل إلى جميع الناس بدون استثناء، وبصفة عامة من يتناولون اليوم الخطاب الديني عبر وسائل الاعلام، لا يلقون بالا إلى مسألة من ينتج الخطاب متأثرين بشخصية المنتج أكثر مما يقوله في سياق تلك الخطابات، وعليه سوف نطرح من خلال هذه الدراسة البسيطة مسألة منتجي الخطابات الدينية في أوطاننا العربية خاصة في بلد بحجم مصر والتي تمر بمرحلة صعبة في سياق ما يتناوله رجال الدين.

## 2-تعريف الخطاب الديني:

لسنا هنا بحاجة لتعريف الخطاب الديني بالطرق التقليدية كون موضوعه يدور في فلك التعامل والتعاطي مع أشكاله المختلفة على صعيد الإعلام والاتصال، إلا إذا كان الخطاب الديني هو التعبير عن التصور والرؤى التي يخلص إليها منتج الخطاب إزاء القضايا المثارة في المجتمع، من وجهة نظر دينية منبثقة من القواعد والكليات الشرعية. فإنه وفي ضوء هذا المفهوم فإن الخطاب الذي يراد به في مثل هذه الحالات هو المتعلق بالمنطلقات التي بدأ منها وما زال لم ينتهي إليها بعد، معنى هذا أن الخطاب الديني له جذور تصل إلى غاية الرسالة المحمدية، باعتبارها الوسيلة التي تصل إلى الغير سواء في جانب العبادات أو المعاملات (طارق البشري، 1996، 50).

غاية الأمر أن ظاهرة انتشار الخطاب الديني ولفترة طويلة لم تخرج عن دائرة الدعوة والحوار المباشر، باستخدام فن الخطابة أو من خلال المناقشة بين منتج الخطاب ومتلقيه، ومن ثم فإن الإشكاليات التي كانت أقل حدة. باعتبار الأمر يقتصر على المناقشة بين طرفين دون أن تتسع دائرة الحوار لأكثر من ذلك، وهو الحاصل الآن، كما أن النقاش عادة ما ينتهي أثره بمجرد انتهاء اللقاء، ولن يبقى منشوراً أو متداولاً كما هو حاصل الآن ليصل صدها إلى عامة الناس.

فضلاً عن أن الحياة لم تكن بهذا التعقيد، ووسائل الاتصال لم تكن بهذا القدر الذي يؤدي بالضرورة إلى كثرة ما يطرحه الخطاب الديني من مشاكل وما يبيده من وجهات نظر في مواجهة معطيات الحياة المتجددة والمتلاحقة بل يمكن القول بأنها غير قابلة للتوقف، فكل يوم هناك جديد في الفضائيات الإعلامية حول المسائل الدينية والحياتية التي تحتاج إلى تنظير ومعرفة موقف الإسلام ورأيه فيها، منها ما يخص علاقة الفرد بالفرد أو علاقة

الفرد بالمجتمع أو علاقته بالدولة، بل حتى مواقف تتعلق بالفرد نفسه فيما يتعلق بالتحريم والتحليل في استعماله أو تطرقه لكل جديد تنتجه الحياة.

فالخطاب الديني ما هو إلا اجتهاد، سواء في الكتب أو في عقلية المجتهد، كما أنه مرحلة انتقال بين الفقيه أو المجتهد إلى متلقي الخطاب (نفس المرجع، 52) ومن ثمة كلما اتسعت قضايا وإشكاليات الخطاب الديني كلما اتسعت رقعة توصيله للمتلقي عبر مختلف القنوات، فقلة ومحدودية الاتصال وبقاء نفس المجتهدين هم من ينقلون الخطاب الديني للناس، فكرة قد تؤثر على محدودية انتقال الخطاب الديني بالشكل الذي يلائم العصر.

### 3-آليات الخطاب الديني:

مما لا شك فيه أن هذا العنصر يشغل مساحة مهمة من مسألة الخطاب الديني، فلا يوجد خطاب دون متلقي كما أنه لا يوجد خطاب من دون وسيلة لنقله وتحقيق الاتصال بين منتج الخطاب ومتلقيه. (رحماني، 2008، ص16)، وإذا كانت ثمة أمور تحكم قدرة الخطاب على التأثير في المتلقي وتعلق بالمتلقي نفسه فإن آليات الخطاب ووسائله التي تحمل المضمون ليصل إليه سوف تلعب بالتأكيد دوراً في التأثير على المتلقي وتحدد قدرة الخطاب على الوصول إلى أهدافه. ويمكن رصد آليات الخطاب بحسب التطور التقني ووسائل الاتصال من الأقدم إلى الأحدث.

#### 1.3 فن الخطابة:

لقد كان لفن الخطابة والحوارات المجتمعية المباشرة من طرف منتجي الخطاب الديني تأثيراً كبيراً في المتلقين وذلك لطبيعة الاتصال المباشر بين الملقى والمتلقي، بسبب درجة التأثير الكبيرة التي تنقلها الأحاسيس التي تستخدمها لغة الخطاب، فالانفعال الذي يكون عليه المتحدث والملكات التي يتمتع بها تمكنه كلما كان ممسكاً بأدوات اللغة العربية من التأثير في المتلقين، وهو ما يخلق الدافع لدى جمهور المتلقين في الاستماع والإنصات للخطاب الصادر عن بعض الدعاة، من أمثال (الشيخ عبد الحميد كشك، الشيخ المحلاوي) والذين كانا يروجان لنوع من الخطاب الذي يقترب حسب البعض من الممنوع وكل ممنوع مرغوب. حيث لم تكن الدولة بجهازها الأمني، في قدرة على تتبع أصحاب هذا النوع الخطاب أو حظرهم بالكلية إذ ظل لبعض التيارات الدينية، وبعض الخطباء مساجد ارتبطت بهم وكانت تمثل منبراً لهم.

ومن ثم لا يمكن القول بمعدومية استخدام وسيلة الخطابة، إذ كان بمقدور أصحاب الخطاب الديني الإخواني مثلاً أو حتى المتشدد التسلسل لبعض المساجد التي أصبحت في وقت ما لا تخضع لإشراف وزارة الأوقاف من إبداء خطابهم الديني دون أدنى رقابة أو مراجعة من أحد. (نفس المرجع، ص19) ولقد روج لفكرة أن الدولة كانت تسمح بذلك من قبيل امتصاص غضب الناس أو ومن باب أن الكبت يولد الانفجار، لكن لا يمكن القبول بمثل هذه الفكرة. إذ من الثابت القول بأن هناك بعض مراكز العبادة التي تقوم بنشر الخطابات الدينية، كانت خاضعة تماماً لأصحاب الفكر المتشدد الذين لا يكفون عن تبني الخطاب الديني المسيس، والذي كان يصل في بعض الأحيان إلى حد سب الحكام والدعوة للخروج عليهم بعد تكفيرهم جهاراً نهاراً، غير أنه وفي الجمل لا يمكن القول بأن المساحة الكمية متعادلة بين الخطابين الرسمي وغير الرسمي، إذ إن الغلبة كانت للدولة من ناحية الوجود الفعلي والسيطرة سواء على المساجد أو اللقاءات المباشرة كالاحتفالات أو الأمسيات الدينية

أو حتى اللقاءات الجماهيرية، إلا أننا نستطيع من دون شك أن نكرر أن هذه الغلبة الكمية كانت فارغة المحتوى قليلة التأثير لضعف الدعاة وهشاشة الفكر الذي يحملون ويحاولون من خلال مختلف المنابر لإيصاله للناس، إلى جانب ركافة أسلوبهم وخضوعهم للتوجيه الرسمي في تبني موضوعات الخطب والدروس الدينية في مقابل تأثير لا بأس به لتيارات دينية غير رسمية في مصر (القاضي، 2008، ص 8).

فالتفوق من الناحية الكيفية كان لأنصار التيار السلفي وجماعة الإخوان المسلمين، فهم الأعلى صوتاً والأكثر فاعلية وتأثيراً في متابعتهم لحسن إعدادهم واختيارهم لموضوعات تمس مشاعر الناس وتقرب من احتياجاتهم النفسية.

لكن مع ذلك لا يمكن اعتبار الخطاب الديني غير الرسمي كان قادراً على تحويل دفة القوى في المجتمع أو الوصول إلى أكثر من تعاطف الناس وحشدهم في صمت خلف هذا التيار كوسيلة للضغط على الدولة دون أن يصل الأمر بالطبع إلى خلق حالة من الثورية على الأرض من شأنها أن تخيف الحاكم أو تززع سلطته، فهي مجرد تشويه لسلوك الحكام وإثبات أنهم بعيدون عن منهج الشريعة الإسلامية (الطيبار، مرجع سابق، 17).

### 3-2 الاعلام المكتوب:

لا توجد حاجة إلى الإشارة إلى أن الكتابة والقراءة أقدم الوسائل التي استخدمت في الخطاب الديني، وبرز ذلك في الكتب التي صدرت عن منهج الخطاب الديني سواء أكانت من جهات إعلامية رسمية تنشر منهج الخطاب الديني من غير أصحاب الخطاب الرسمي الموجه، والتي تأخذ عدة أشكال منها المقالات الفردية في الصحف والمجلات التي تصدر عن منتجي الخطاب أنفسهم مثل مجلة "الدعوة" المصادرة من طرف أجهزة الدولة المصرية أو مجلة "التوحيد" التي تصدر عن جماعة «أنصار السنة».

وبالطبع فإن حظوظ خطاب التيار الرسمي الموجه من طرف الدولة هو من كان له السبق في استخدام هذه الآلية، إذن إن الدولة البوليسية التي عاشتها مصر لقرابة ستين عاماً فرضت حضراً غير قليل بالمرّة على مثل هذه الوسائل إما بمصادرة المجلات كمجلة "الدعوة" أو بالرقابة الشديدة والمتابعة الأمنية الدقيقة التي قد تجبر منتجي الخطاب الديني من غير التابعين للتيار الرسمي (على وضع خطوط حمراء لنفسه يصعب تجاوزها خشية تعرضه للمساءلة أو حتى الاعتقال في بعض الأحيان).

ومما لا شك فيه أيضاً وأصبح من الأشياء المنظورة لدى عامة الناس، أن التيار الديني الرسمي والذي تتحكم فيه الدولة، لم يكن خطابه من خلال هذه الآلية إلا خطاباً دعوياً محضاً يدعو إلى عمل الصالحات وتجنب المنكرات وإتيان الفروض والتبشير بالجنة والتخويف بالنار، دون أي مدلول اجتماعي أو حيائي سياسي، ولو كان معتدلاً فذلك نوع من المنهج المدرس بدقة والمتابع من خلال الأجهزة الأمنية التي ينصب عملها على متابعة ذلك. (برهان، 2000، ص 110) ومن ثم فإن حظوظ التيار الديني غير الرسمي في استخدام آلية الكتابة، كواحدة من آليات نشر الفكر الديني يكاد يكون منعدم الفاعلية من حيث التأثير والتجاوب مقارنة بالتيار الديني الرسمي وذلك لأسباب عديدة يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: أن الكتابة والقراءة بطبيعتها وسيلة غير مباشرة ومن ثم فإن المتلقي لا بد أن يسعى للوصول إلى هذا الخطاب، وقد لا يصل إليه بسهولة أو عرضاً كمن ينتقل بين قنوات التلفزيون والراديو، إنما ينتقل إليه عن قصد

وبحث وسعي ثم إنه لابد أن يكون مجيداً للقراءة حتى يتمكن من متابعة المكتوب والوصول إليه ومن ثم فإن القصد يعني أنه من المؤمنين بهذا التيار أصلاً أو من الباحثين وراءه لنقده أو تشويبه.

ثانياً: أن بلداً مثل مصر تصل فيه الأمية إلى نسب عالية، كما أن من يقرأون أو حتى من يهتمون بالقراءة من حاملي المؤهلات العلمية العليا ليسوا بالضرورة من المثقفين المشغولين بالبحث عن المعرفة والثقافة، ولا يمكن اعتبار أن عدد من يقرأون هو نفس عدد من يجيدون القراءة، ويمكن التأكد من ذلك من نسب توزيع الكتب الفكرية والروايات لكبار الكتاب، بل حتى الكتب الدينية نفسها، ومن ثم فإن التأثير الحاصل من وراء القراءة هو تأثير محدود للغاية بالنسبة للتيار المسموح له بالكتابة وشبه منعدم بالنسبة للتيارات الأخرى (جماعة الإخوان المسلمين مثلاً) التي عانت لعقود طويلة من اضطهاد الدولة. (الحسيني، 1996، ص 130).

وعلى ذلك فإن الكتابة كآلية للخطاب الديني من فعل منتج الخطاب، فقد كانت مقيّدة بالنسبة لجميع التيارات المنتجة للخطاب الديني حتى الرسمي منها، ولا تستطيع كسر الدائرة المحددة لها إلا بمعرفة أجهزة الدولة وتحت رقابة أمنية صارمة للعمل فيها، أما باقي التيارات الأخرى فكانت أقل استخداماً لوسيلة الكتابة بالنظر إلى التضيق الذي كانت تمارسه الدولة، نجد في مقابل ذلك متلقٍ للخطاب قد لا يجيد القراءة، وحتى الذين يعرفون القراءة لا يقبلون على استعمالها إلا من خلال العمل كوسيلة للاستزاق وكسب لقمة العيش (نفس المرجع، ص 132).

### 3.3 الاعلام المرئي والمسموع:

تمكنت الوسائل المرئية كالتلفزيون وأشرطة الفيديو والأسطوانات المدججة، ومنذ ظهورها في أوائل الستينيات على غرار التلفزيون المصري، من الانتشار بشكل واسع إلى درجة تغطية بعض المناطق في ريف مصر، هذا الانتشار استمر إلى غاية قيام ثورة يناير 2011. لكن ما يمكن الجزم به، هو أن الوسائل المرئية والمسموعة يمكن القطع بأنها الوسيلة الأهم والأخطر التي ساهمت في نشر الخطاب الديني من طرف الجهات الرسمية، والدليل هو اقتصرها التام على نشر الأفكار الدينية التي تتبناها الجهات الرسمية، والتي تسيطر عليها الدولة، وعليه بقي الخطاب الديني الرسمي التقليدي لا يخرج عن تناول أمور العبادات سواء ما كان منها على سبيل الفرض أو السنة أو الاستحسان مع اقتراب إلى جانب قليل أو قليل جداً من أخلاقيات المسلم كالأمانة والنظافة، أما الأخلاقيات التي يتعين توافرها في ولاة الأمور فهي من المحظورات التي لا يمكن لمنتج الخطاب الديني تناولها مهما كانت مكانته الدينية في الدولة، عدا ما كان يأتي أحياناً في خواطر الإمام الشعراوي على سبيل المثال، وإذا كان هذا متعلقاً بالمضمون فإن الحجم الذي كانت تتمتع به البرامج الدينية قليل مقارنة بباقي البرامج التي تبث على المشاهدين.

وإن كان هذا هو حال التيار الديني المسموح له بالظهور واستخدام أهم آلية للاتصال ونقل الخطاب الديني وأي خطاب من أي نوع والأكثر فاعلية في مجتمع أغلبيته لا تجيد القراءة والكتابة، وحتى البعض ممن يهتمون بالثقافة ولا يسعون إليها بشراء الكتب مثلاً، قد يرحبون بأن تأتي إليهم من خلال البرامج. إذا كان ذلك كله وكان الخطاب الديني الرسمي هشاً وسطحياً ومحض خطاب دعوى يحكي قصص الأنبياء والصالحين، فمن الطبيعي أن يكون الخطاب الديني مهمشاً في دوره ورسالته ومحدود التأثير.

في المقابل نجد أن خطاب بعض التيارات الغير محسوبة على الدولة، دورها معدوم تماماً لحرماتها المطلق والتام من استغلال الوسيلة الاتصالية المتمثلة فيما هو مرئي وما هو مسموع، ما يجعل فعالية ما ينتجونه ضعيف، ولا يمكن بالبحث والتدقيق أن نجد معرضاً للخطاب الديني الرسمي ظهر على شاشة التلفزيون خلال الفترة ما بين نشأة التلفاز وحتى قيام ثورة يناير 2011. بل حتى من كان يُسمح لهم بالظهور في أحيان بعيدة مثل محمد عمارة وغيره كان ظهورهم نوعاً من مهاندنة السلطة للتيار الإخواني وكان أمثال الدكتور عمارة (عمار، 2017، ص174) يتبنون لغة الخطاب الديني الموجه من طرف الدولة باعتبارها الجهة الرسمية في البلاد، أو لغة غير بعيدة عنه ولا يمكن أن تصل إلى خطاب معارض أو حتى مجرد ناقد للخطاب الديني الرسمي.

وكثيراً ما كان مثل هذا الظهور ما يستخدم في قضايا إعلامية أو قضايا يكون الهدف منها الرد على أعداء الدولة مما يصب في مصلحة النظام السياسي والخطاب الديني الرسمي. ولا يمكن في جميع الأحوال فصل مثل هذه اللقاءات أو الحوارات، رغم ندرتها، عن التيار الرسمي الذي تدعمه الدولة أو اعتبارها معادية له.

أما غيرها من الوسائل مثل انتشار الفيديو والكاسيت وفي وقت لاحق الأسطوانات المدججة فقد كانت هي الوسيلة الوحيدة التي تعتمد عليها التيارات الدينية المعادية للدولة، في نقل أحاديث الشيوخ والدعاة، والتي كانت تصب في مجملها في إشاعة روح الوجود في الخطاب الديني فانتشرت أشرطة الشيخ كشك ثم في مرحلة لاحقة دروس وجدي غنيم ومحمد حسان ومحمد حسين يعقوب...إلخ.

وبرزت في هذا النوع من الخطاب الديني ملامح الأيديولوجيات التي تتبناه تلك التيارات، فخطبهم لم تكن مجرد خطب دعوية محضة، بقدر ما كان في محتواها إسقاطات على سلوك الحكام وفساد أولي الأمر والفساد الأخلاقي والإعلامي من وجهة نظرهم، وأحياناً كانت تصل جرأتهم إلى حد تناول رأس الدولة وذويه سواء أكان ذلك في عهد الرئيس السادات أو في عهد الرئيس حسني مبارك (نفس المرجع، ص175).

ولا يمكن إنكار أن استخدام هذه الوسيلة نجح في إيصال الخطاب الديني إلى عدد غير قليل من أبناء الشعب المتعطش لقيم الإسلام الحنيف من العدل والمساواة وكفالة الدولة لحقوق مواطنيها اقتصادياً واجتماعياً. وقد وصل الأمر إلى حد التنظير لبعض التيارات المتشددة التي تتخذ من الحماس في لغة هذا الخطاب أساساً لها في تبني رؤى غير حقيقية وغير صادقة عن الإسلام، تبدأ من تكفير المجتمع وتنتهي بالخروج عليه وعلى الحاكم، واعتبار أن المجتمع يضم قلة من المسلمين الحقيقيين وقلة عاصية وأغلبية كافرة وعدداً من النصارى، والطوائف الأخرى أن تقعان طبعاً مع الحكام في خندق الكفر والضلال ولا سبيل إلا بإسلامهم، بمفهوم هذه الجماعات لن يكون هناك احقاق للحق إلا بتصفيتهم والاستيلاء على أموالهم كغنائم حرب.

وقد بلغ هذا النوع من الخطاب دروته في أعقاب الانفتاح الاقتصادي الذي تبناه الرئيس السادات وتحويله إلى سرقة ونهب وفساد لا مثيل له، لكونه جاء بلا ضابط ولا رقابة حقيقية من الدولة، فرسخ الطبقة على أساس مادي بحت وظهرت طبقات طفيلية وأصبحت بنية المجتمع هشة وأصبح الشباب قابلاً لتبني مثل هذا الخطاب من خلال انتشار الكاسيت بصورة مذهلة وتحت مسمى الدروس الدينية لبعض الشيوخ. (لنوبي، 2010، ص132)

## 3-4 الاتصال الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي:

مع انتشار مظاهر الاتصال الرقمي واتساع رقعة مواقع التواصل الاجتماعي، عرف الناس سرعة في انتقال الرسائل سواء من خلال البريد الإلكتروني أو من خلال انتشار الفيديوها على المواقع المختلفة مثل «يوتيوب» ثم ظهور «الفيس بوك» فأصبح الاتصال بالدعاة والاطلاع على أفكارهم مسألة ميسورة ومتاحة للجميع بسهولة وبدون أيّ تعقيد. فمن السهل رفع فيديو على موقع مثل «يوتيوب» وخلال لحظات يكون هذا الفيديو في متناول كل من لديه جهاز متصل بالإنترنت وأضحت التقنيات الحديثة تجعل ذلك أمراً ميسوراً ليس في حالة السكون بل في حالة الحركة من خلال الهواتف المحمولة.

وليس ذلك فقط هو المهم بل أن مثل هذه الفيديوها لا تخضع لأيّ نوع من الرقابة تقريباً لاسيما من الدولة فسوف تظل متاحة ومنشورة وقابلة للتنزيل وعمل نسخ منها وتداولها على صفحات «الفيس بوك». ويمكن لأيّ شخص مجرد كتابة اسم أيّ من منتجي الخطاب الديني من أيّ تيار كان، ومن خلال مواقع البحث أون يجد المتصفح جملة أعماله المنشورة، بل إن الكتب أيضاً أصبحت متاحة بسهولة ويسر مفرط وبدون أيّ اعتبار لحقوق الملكية الفكرية.

إذن فهذه الوسيلة أو الآلية احتلت حيزاً مهماً في انتشار لغة الخطاب الديني لاسيما بالنسبة لمن يطلق عليهم الدعاة المخطورين إعلامياً في أجهزة الإعلام الرسمي أو الجرائد الرسمية والحكومية، فتستطيع في أيّ لحظة أن تجمع كل المتاح عن شخص مثل محمد حسان أو وجدي غنيم أو الدكتور محمد عمارة وغيرهم، صحيح أن بعض هذه الفيديوها يمكن أن يتعرض للتشويه أو الاختزال والاختصار المتعمد، لكن ذلك في حالات محدودة ونادرة جداً ويبقى الأصل أنها وسيلة سحرية لنشر الخطاب الديني بحرية شديدة تسمح لكل شخص بالتعبير عن كامل آرائه وبصراحة شديدة دون موارد أو تخفي وراء إسقاطات من الماضي على الحاضر. فضلاً عن اختراق هذه الوسيلة للحدود والحواجز والقيود فيمكن لأيّ متحدث أو كاتب الوصول إلى أيّ مكان حتى لو كان ممنوعاً من دخوله.

وفي هذا السياق فإن السيطرة كانت للتيارات الإسلامية المخطورة، والتي غالباً ما تأتي أحاديثها ومنشوراتها الإلكترونية غير مؤثرة ولا جذابة، كما أنّ صفحاتها على «الفيس بوك» (عمار، مرجع سابق، ص 178) غير جذابة ولا تلقى جمهوراً يماثل الأشخاص المقبلين على صفحات التيارات الدينية المعتدلة، إلى جانب أصبح لكل تيار صفحته ومواقع الخاصة التي تبث أفكارهم، إلى جانب المواقع التي يديرها أنصارهم ويعبرون من خلالها عن وجهة نظر التابعين لهم.

ويمكن أيضاً أن توجد صفحات لأشخاص قناعتهم لا تخرج عن مجرد كونهم مؤمنين بأفكار تيار ما، فيقومون بتداول الأحاديث والفيديوها والكتب والأخبار التي تخص الخطباء المعجبين بهم والذين يرى أصحاب الصفحات أنهم صادقون، وأن أقوالهم هي الحقيقة المطلقة، وأنها والدين شيء واحد، ولا يمكن التيل منها أو التقليل من قيمتها، لكن هناك الكثير ممن يدخلون مواقع التواصل الاجتماعي أو يستعملون التقنيات الرقمية، لأنهم لا يحبون القراءة التقليدية والوسائل الثقافية المعتادة كمطالعة الجرائد والمجلات.

وغنى عن البيان أنه حتى القنوات الفضائية لها مواقع تبث برامجها من خلال الشبكات الرقمية مما يسهل تداول المحتوى الديني الموجود فيها، أيًا كانت قيمته واتفاقه مع المنهج العلمي، ومدى كونه يمثل صحيح الدين. ما يجعل بعض المتلقين يقبلون على ما يقدم له على أنه صواب مطلق لا يحتاج إلى مراجعة عقلية أو تدقيق فكري أو منطقي للوقوف على صحته أو حتى معقولية المحتوى الذي يتلقاه، لاسيما إن كان صادراً عن الدعاة وأهل العلم الديني ولو كان في غير تخصصهم، ويرجع ذلك إلى الخوف من إعمال العقل وما توارثه الشخص العادي عن أن إعمال العقل يُفضي إلى الشك وينقل الشخص من اليقين المطلق والإيمان الراسخ، إلى زعزعة العقيدة فيتعرض الإيمان إلى الاهتزاز فيلحق به الكفر والمعصية ويخسر الدين والدنيا. (النويهى، مرجع سابق، 134)

وهذا هو ممكن الخطورة في تصدير الخطاب الديني بشكل مطلق وعدم مناقشة محتواه مع عامة الناس، حتى لو لم يتعلق بالثواب وأكثر ما يكون ذلك في الخطاب الذي يكون من خلال البرامج المصورة أو من خلال ما يُنشر من برامج على شبكة الانترنت، فالمتلقي لا يوجد بينه وبين مصدر الخطاب وسيلة للحوار أو التفاهم أو إثارة الجدل من الناحية الفعلية، وعليه يجد هذا الخطاب مساحة فعلية وواقعية متاحة للتسليم بما جاء فيه دون مناقشة أو حوار.

#### 4-آليات الخطاب الديني في مصر بعد ثورة يناير 2011:

ظل وضع الخطاب الديني على ما هو عليه تقريباً دون تغيير حتى قيام ثورة يناير 2011 ليبدأ في الظهور تغيير جوهري في آليات الخطاب شكلاً وموضوعاً، فأصبحت آليات الخطاب أكثر انتشاراً وأقل قيوداً وأوسع مضموناً ومحتوى، ولم يقف الانتشار عند هذا الحد، بل تعددت مضامينه سواء تلك التي تتصدى لتصدير الخطاب الديني والترويج لأفكاره.

ولذلك يمكن رصد التغيير الذي لحق بآليات الخطاب الديني ووسائله، فمثلاً بالنسبة للخطابة اتسع نطاق استخدامها بشكل كبير لدى التيارات السلفية، فلم تخلو منطقة في مصر من مسجد تابع للتيار السلفي، وأبرز ما عرفه خطاب هذا التيار هو التحول الواضح في بنية الخطاب الديني التي أصبح يطلقه، ومضمونه الذي تحول من خطاب دعوى محض إلى خطاب سياسي مغلف بلغة الدين، ويمكن القول بأن السيطرة على منابر الخطابة كانت واضحة وبشدة لصالح التيار السلفي، فالواقع أوضح أن التيار السلفي بكل فصائله أصبح لديه مساجد كثيرة ومنتشرة، لم تكن تمارس أي نوع من الخطاب الديني السياسي قبل ثورة يناير، وكانت تكتفي بالخطاب الدعوى إلا أنها انقلبت فجأة من الخطاب الدعوى إلى الخطاب السياسي الصريح، في مقابل تراجع واضح لدور المساجد الحكومية التي تحول بعضها إلى أماكن للاستخدام السياسي خصوصاً بعد تحقيق جماعة الإخوان المسلمين نجاحات في الانتخابات البرلمانية ثم الرئاسية. أما الجماعات المتشددة فظلت بعيدة عن المساجد عدا التابعة لها في صعيد مصر وبعض الأحياء الشعبية التي تقع في أطراف المدن والبعيدة عن رقابة الدولة، فقد كانت هذه المنابر في حالة موالاة للتيار الإخواني دون الكشف عن معتقداتها الحقيقية. (عمار، مرجع سابق، ص180)

أما على صعيد الإعلام المكتوب فقد أصبح هناك عدد من الصحف والجرائد التي تعبر عن الخطاب الديني، ذو البعد السياسي والمرتبط بتيار الإخوان المسلمين مثل جريدة «الشعب» و«الحرية والعدالة» إلى جانب صحف

أخرى تعبر عن وجهة نظر التيار السلفي، والتي كانت تنشر مقالات كثيرة لبعض رموز تلك التيارات، سواء التيار السلفي أو الإخواني أو حتى تيار العناصر المتشددة والتي تستخدم آليات إعلامية لا تقع تحت رقابة الدولة، من أجل نشر أفكارها.

أما على صعيد استخدام تلك التيارات للوسائل الإعلامية الواسعة الانتشار، فحدث ولا حرج، حيث انتشرت القنوات الفضائية التي تعبر عن الاتجاه الإخواني والسلفي والتي كان بالطبع يُسمح للتيار المتشدد بالظهور فيها واستخدامها كآلية من آليات التي تستثمر فيها الدولة من حين إلى آخر، وقد سُمح لأنصار هذه التيارات بالظهور في القنوات الفضائية الرسمية والخاصة، وكذلك إذاعة القرآن الكريم المصرية، بل إن بعض القنوات الإخبارية والاجتماعية خصصت برامج لأصحاب هذه الخطابات ومحاورهم من قبيل الجذب الإعلامي فقط دون إقناع حقيقي بفكر هؤلاء.

وبالطبع أصبح لكل اتجاه في شقه الدعوي أو السياسي موقع خاص للتواصل الاجتماعي يعبر عن التيار في مجمله فضلاً عن توجهات أعضائه. ويمكن إجمال الوضع بين الفترة من قيام ثورة يناير 2011 وحتى 30 يونيو في عدة ملامح رئيسية من حيث استخدام آليات لنشر الخطاب الديني على نحو يجسد "تراجع الرقابة الحكومية والأمنية على آليات الخطاب الديني سواء آليات تقليدية كالخطابة والكتابة، أو الآليات الحديثة كالقنوات الفضائية ومواقع الإنترنت، مما مكن تلك التيارات من الانتشار والتوغل في المجتمع باستعمال كل الوسائل أياً كان مضمون الخطاب دعوياً أو سياسياً. وذلك تماشياً مع إطلاق كل أنواع الحريات بلا أيّ ضوابط ومفهوم يصل إلى حد الفوضى عقب الثورة، حتى أصبح السائد لدى بعض الناس بعد الثورة «قل ما تشاء، فيمن تشاء، ووقتما تشاء».

فاستباحة حقوق الغير ومهاجمتهم لأغراض شخصية ودون دليل وبغرض لا يتفق مطلقاً مع الصالح العام أصبح أمراً عادياً ومرحباً به من قبل البرامج الحوارية، بما فيها القنوات الدينية. وهنا ليس المقصود الكلام عن الرقابة الأمنية التي كانت تتبعها أجهزة مثل جهاز أمن الدولة بصورة مبالغ فيها وغير مقبولة حتى ممن يعادون التيارات الدينية، إنما أيضاً انعدمت ولم توجد أصلاً أيّ رقابة إعلامية تركز على أسس موضوعية أو ميثاق شرف أخلاقي، حتى وصل الأمر إلى التناول على أعراض الناس واتهامهم في شرفهم والنيل من ذمم بعض المسؤولين دون دليل.

ويؤكد المختصون أنه حتى في ظل انعدام مثل هذه الرقابة الحكومية سواء الامنية المرفوضة بشكل مطلق والرقابة الموضوعية التي تركز على قيم الإعلام السليم بكل صوره وتخضع لها كل صور الخطابات الموجهة للمجتمع بما فيها الخطاب الديني، فإنه لم يوجد للأسف نوع من الرقابة الذاتية منبعا الضمير المهني أو الأخلاقي وإذا كان ذلك أمراً غير مقبول ممن يمارسون عملاً إعلامياً يتعلق بالفنون والآداب والفلسفة وحتى السياسية، فما بالك بأصحاب الخطاب الديني حيث الضمير والخلق من أسس الدعوة بكل صورها، فهي تابعة من رسول كريم قال عن نفسه: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» بل هناك عشرات الأحاديث وقبلها آيات قرآنية مقدسة تدعو إلى الحوار بالحسنى وعدم إهانة الناس أو التعدي عليهم.

#### 1.4 انتشار وسائل الاعلام غير الرسمية وتأثيرها في الخطاب الديني:

تنامت في الآونة الأخيرة وبصورة لافتة وسائل الاعلام غير الرسمية على حساب الآليات الإعلامية التقليدية على رأسها طبعا القنوات الفضائية والتي انتشرت بصورة كبيرة جداً، الهدف منها نشر الدعاية لبرامج دينية تحمل بين طياتها نوعاً من الدعوة للانضمام إلى التيار الديني سواء السلفي أو الإخوان، والإيمان بالخطاب الديني الذي تنادي به هذه التيارات، سواء في مجال الدعوة أو السياسية، في مقابل تحجيم التيار الديني الرسمي ومحاولة إبعاده عن استخدام الآليات الاعلامية الموجودة.

حيث أصبح المتحكمون في المواقع الإعلامية دائماً ما يسلكون طرقاً تمكنهم من الحفاظ على أوضاعهم الوظيفية تبدأ بالحياد وتنتهي بالنفاق للإخوان المسلمين مروراً بالمغالاة في بعض الأمور. واللافت للنظر أن بعض الآليات المملوكة للتيار الرسمي كإذاعة القرآن الكريم والتلفزيون الحكومي أصبحت متاحة للتيارات غير الرسمية في مقابل عدم قدرة التيار الرسمي على استخدام آليات التيارات الأخرى فظهر في تلفزيون الدولة مفتى الإخوان المسلمين وهو شيء لم يكن يتصوره أحد في مصر على الإطلاق حتى قيام ثورة يناير 2011، وأصبح هناك شبه عمود أسبوعي لبعض قيادات الدعوة السلفية بجريدة « الأخبار » ومقالات لقيادات جماعة الإخوان وكذا للمتحدث باسم حزب النور، كما لا يكاد يخلو برنامج حوار في القنوات الخاصة من أحد ممثلي التيارات الدينية المتواجدة على الساحة حتى لو كانت القناة أو المذيع من المحسوبين على النظام (الكتاني، 2013، ص128)

#### 2.4 تراجع آليات الخطاب الديني الرسمي:

لم يعد يُسمع للأزهر الشريف ولا لعلمائه خلال فترة الثورة وما بعدها إلا كلاماً خافتاً وظهوراً باهتاً في كل آليات الخطاب الديني المرئي منها والمسموع، مع الاقتصار على قناة القرآن الكريم، والتي تركز معظم برامجها على الاهتمام بعلوم القرآن والتفسير، إلى جانب المساحة الضخمة للقرآن المجود والمرتل، مع عدم ظهور الكثير من علماء الأزهر في الفضائيات بالصورة التي تتناسب وقيمة وحجم الأزهر الشريف سواء هم أو علماء مجمع البحوث الإسلامية ووزارة الأوقاف ودار الإفتاء.

كما أنّ الأزهر الشريف رغم ما له من قيمة، ووزارة الأوقاف بما لديها من ثروات وممارستها لمشروعات اقتصادية من خلال هيئة الأوقاف وتملكها لبعض المصانع مثل مصنع سجاد دمنهور أو شركة المحمودية للمقاولات لم تسع أيّ جهة من هذه الجهات ولا حتى جامعة الأزهر ودار الإفتاء إلى إنشاء آلية ذات بعد إعلامي اتصالي لمواجهة هذه التيارات المتشددة سواء بصورة فردية أو مشتركة بين هذه الجهات لتبني خطاب إسلامي يعبر عن ذاتيتها ويلقى الضوء على ملامح هذا الخطاب. للأسف الشديد إن شيئاً من ذلك لم يحدث على الإطلاق واكتفت هذه الجهات بالظهور بوجه شاحب لا يمثل أيّ فعالية ولا يلقي أيّ صدى، ربما لأن رغبة العلماء ودوافعهم كانت أقل من أن تواجه المسؤولين الحكوميين الذين كانت اتجاهاتهم واضحة نحو إفساح المجال لعمل تيارات دينية أخرى، وتمكينها من تصدير خطابها الديني بكل صوره ومقرراته، ربما حتى على حساب التيار الرسمي، لاسيما بظهور أجهزة تابعة للدولة حيث ظهر ما يسمى « الهيئة العليا للإصلاح و الشريعة » و « هيئة كبار العلماء »، وغيرها من الجهات التي كانت تتصور أنها يمكن أن تنال من مكانة الأزهر وأن تحل محله ولو قليلاً، والواقع أن مثل هذا التصور مضحك ويغفل طبيعة الشعب المصري في عموميه وتمسكه ببعض الثوابت

التي يمكن أن ينتقدها بشدة لكن لا يقبل المساس بها أو النيل منها بصورة مبالغ فيها. (نفس المرجع ، ص231)

ولعل من المسائل التي أثرت على أداء آليات الخطاب الرسمي رغم أنها مسألة موضوعية، لكن كان لها تأثير شكلي ومحوري على حجم الخطاب الديني الرسمي وانتشاره واستخداماته لآلياته، هي الهجوم المستمر عليه واتهامه بالتضليل والتعبير عن رؤى أنظمة سياسية سابقة، وأيضاً بما تُسبب إليه من فساد ومهادنة للسلطة مع التحقير من المستوى العلمي لعلمائه ومفكره سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة والاستهزاء بهم على مواقع التواصل الاجتماعي بعد العبث المتعمد بأحاديثهم وتسجيلاتهم المسموعة والمرئية لخدمة أغراض ذنيئة. والواقع أن ذلك وضع هذا الخطاب تحت ضغط نفسي ومحوري جعله يظهر في صورة ضعيفة ومهزوزة أمام المواطن العادي من جهة، كما أنه من جهة أخرى قيّد من وسائله وآلياته وقدرتها على المناقشة والمحاورة مع أصحاب الخطابات المغايرة، ومن ثم عدم نقدها بصورة تكشف ما يمكن أن يكون بها من تراجع فكري أو مخالفات شرعية.

إذ إن هذا الخطاب ظل دائماً في مركز الدفاع عن نفسه مبرراً مواقفه، ومحاولاً التنصل من علاقته بأنظمة حكم فاسدة، رغم أنه كان محارباً ومضطهداً من طرفها، وكان هذا النظام في الغالب يهدف أيضاً إلى تهميشه وتحقيره وحصره في حدود ضيقة جداً، أو في الإطار الدعوى دون السماح له مطلقاً وبأي حال من الأحوال أو صورة من الصور بأداء مضمون أو محتوى سياسي لخطابه الديني أو حتى في لعب أي دور إصلاحي للمجتمع الذي كان ولا يزال في أشد الحاجة إليه. (عمار، مرجع سابق، ص192).

##### 5- الخطاب الديني وتأثيره في وسائل الاعلام المصرية:

يمكن القول ببساطة شديدة أن توصيف الخطاب الديني في وسائل الاعلام صعب نظراً لتنوع مضامينه، وتعدد القائمين عليه، و نظراً أيضاً لتجدد الخطاب الديني بشكل مستمر، لكن يمكن تصنيفه على العموم من غير تخصيص (بأنه خطاب يسير أحيانا عكس الاتجاه العام) وبأنه في مرحلة الابتعاد عن الأصالة والارتكاز على فعالية المطروح على الساحة بدليل مخرجات ثورة 30 يونيو، التي أعادت بعض الأمور إلى ثورة يناير 2011 مع تغيير طفيف، يمكن رصده من خلال توصيف عناصر الجذب والتأثير على حساب الاهتمام بأصالة المحتوى والاهداف وقد تعود أسباب ذلك الى أمرين: محاولة إعادة هيكلة آليات الخطاب الديني الصادر عن التيارات الدينية عدا تيار الخطاب الديني الرسمي مع السماح ببعض المرونة، كشكل من أشكال مجازاة الخطاب الديني المنفتح على الغرب باستخدام وسائط الاعلام الجديد، وذلك خوفاً من سيطرة خطاب ديني واحد على عقول الجماهير، إلا أن بعض المراقبين يرون بأن تلك الاستراتيجية بقيت قاصرة عن إيصال الكثير من الأفكار التي تتماشى مع ما جاء بعد الثورة بما يصب في مصلحة الثورة ويؤكد خطورة استمرار الوضع على ما كان عليه بالنسبة لمسألة استمرار خطاب ديني لطالما وصف بالمتطرف.

وقد سيطر حسب البعض مبدأ المال والربح التجاري على بعض المؤسسات الإعلامية التي تبث الخطاب الديني منتهجة سياسة النفعية، وإهمال بعد الأصالة. وإن الحديث عن واقع الخطاب الديني في وسائل الاعلام الجديدة على مستوى جمهورية مصر العربية يظهر قصوراً واضحاً، في محتواه وشكله فبذل الاستفادة من أصالته، برزت مشاكل الخطاب الديني الإسلامي المنشور عبر وسائل الاعلام في ابتعاد جزء كبير منه عن وظيفيته

الأساسية. وركود جزء آخر منه وابتعاده عن الواقع وعدم ملامسته للقضايا الراهنة، فقلة حضور الخطاب الديني المخطط من الجهات الإسلامية المشهود لها في مصر، خصوصا في ظل ما مر عليها من تحديات ثورات الربيع العربي والتصاقه بعد ذلك بحكم الاخوان المسلمين وسيطرتهم على السلطة، كما اكتفى الخطاب الديني بالحضور عبر الوسائل التقليدية على غرار الإذاعة. ويمكن اجمال بعض تأثيرات الخطاب الديني من خلال وسائل الاعلام في جملة من الأسباب منها:

— أن الخطاب الديني أصبح يفتقر وفق آراء بعض الخبراء إلى المهنية، واقتصاره فقط على الجوانب الفنية.  
— غياب الأدوات الإعلامية التي تكفل توصيل الخطاب الديني بأسلوب اعلامي تنافسي.  
— حضور جزء من الخطاب الديني في سياق لا يخدم محتواه الحقيقي.  
— قلة الكفاءات القادرة على نشر وبث الخطاب الديني الملائم، فالملاحظ هو دخول فئات عديدة لا تحوز الثقافة العلمية المتخصصة للاطلاع بمهمة التعريف بالإسلام، وقد يكون ذلك مرتبط بغياب التكوين القيمي في معاهد واقسام الصحابة والاعلام.

— تناقض الخطابات الدينية التي تعرض الإسلام في وسائل الاعلام الرسمية في مصر وتقدم تصوراتها بناء على الأفكار التي تمجد الأشخاص، وتبتعد عن الأسس السليمة التي تدعو لبناء مجتمع متكامل  
وفي المقابل بقيت بعض المؤسسات الدعوية ومنها المساجد التي كان لدى أئمتها جرأة الحديث ضد المؤسسة الرسمية للدولة ونقدها بشكل مباشر، هي اليوم تعرف نوع من الرقابة والتحكم لأدوارها، في ظل رغبة في عودة السيطرة الرسمية على جميع آليات الخطاب الديني الإسلامي سواء مورست هذه الرقابة بمعرفة الدولة ممثلة في وزارة الأوقاف أو من خلال أجهزة رقابية أخرى.

كما أن الخطاب المعادي للعنف والتطرف الذي تشهده بعض القنوات الإعلامية المصرية اليوم، إنما يعبر عن انتشار خطاب ديني مضلل يصور نفسه باعتباره المتحدث الرسمي باسم الدين.

ومما لا شك فيه أن الوضع الذي خُلق بعد «يونيو 2013» أصبح يسمح بل يتطلب سرعة دوران لآليات الخطاب الديني سواء من الأزهر أو مجمع البحوث أو دار الإفتاء. والواقع أن الخطاب الصادر عن الجهات الثلاث لا يزال باهتاً متراجعا عن دور يجب أن ينهض به لاسترداد وعي الأمة وتشكيل الخطاب الديني بصورة سليمة خصوصا في وعي المواطن البسيط (نفس المرجع، ص233). خاصة وأن المواطن البسيط أصبح لا يشعر بدور حسب بعض المتابعين مشايخ الأزهر ولا مجمع البحوث الإسلامية ولا دار الإفتاء إلا من خلال فعاليات لا ترقى إلى مستوى المأمول منها على المستوى الشعبي.

وإن كان البعض يرى العكس فوزارة الأوقاف عرفت تحركات أكثر فعالية حيث بدأت في استعادة سطوتها على بعض المساجد التي أصبحت تنشر خطابات معتدلة مخافة انجرار بعض شرائح المجتمع خاصة فئة الشباب إلى التطرف مما يفتح باب المواجهة مع الدولة. (عمار، مرجع سابق، 200)

ويجب القول بوضوح إن مهمة القيام بخلق خطاب ديني جديد أو على الأقل تصحيح مسار الخطاب الديني المنتشر في وسائل الاعلام المصرية مهمة يصعب أن تقوم بها جهة واحدة وبألية واحدة، حتى لو كانت فالأمر يحتاج إلى تضافر جهود العديد من المؤسسات والجهات الحكومية، إضافة إلى تطوير الآليات القديمة

والمناحة وجعلها أكثر قدرة على التأثير من خلال الانتشار الكمي بزيادة أعدادها أو نشرها بوسائل مختلفة، إلى جانب التطوير والتعديل الكيفي المستند على تحسين جودة الخطاب وتحويله من خطاب نمطي إلى خطاب إبداعي قادر على جذب المتلقي والتأثير فيه وذلك من خلال اختيار الشخصيات القادرة على إنتاج مثل هذا الخطاب. (القريقرى، 2014، ص12)

لكن ما أصبح واضحاً وجلياً في المجتمع المصري هو انتشار ظاهرة الاستقطاب السياسي من خلال الآليات الدينية على نحو يمكن بالقليل من التأمل إدراك كبر حجم المشكلات التي خلقها لاسيما إذا كان هذا الاستقطاب يصب في اتجاه معاكس للحقيقة لما ينبغي أن يكون عليه المجتمع من استقامة واعتدال. من شأنه أن يؤثر على أيّ تفكير إصلاحية حقيقي وفعلي ينهض بالبلد إلى مستويات خطافية أفضل في مجال الدين باستخدام آليات الخطاب الديني في أغراضها ومواقعها الصحيحة.

#### 6- مستقبل الخطاب الديني الإعلامي في مصر:

من خلال التناول الإعلامي بهدف الوصول إلى الغير بأسلوب الفاعلية من أجل تحقيق مستقبل أفضل للخطاب الديني لا شك أن الأمر لا يتوقف على استعمال الوسائل الإعلامية كما وكيفا، بل يقوم على ضرورة تبني فكر البناء، وهو ما ينبغي معه أن يتحول الخطاب إلى فعل يتميز بالسرعة والفاعلية، فلا خلاف على الحاجة الماسة لتحديد الطريق الواجب السير عليه في توجيه الخطاب الديني لتصحيح الأخطاء والملايسات التي تقع فيها ذلك الخطاب من حيث مضامينه ومحتواه، وهذا يحتاج آليات بحاجة أيضا إلى تطوير مستقل ومنفصل فهو الوسيلة التي ينتقل بواسطتها المحتوى بين منتج الخطاب والمتلقي. (القاضي، مرجع سابق، ص280)

من جهة ثانية استخدام الآليات المنتجة للخطاب الديني، بغرض البناء سيحقق ربما الوقاية من الملوثات التي ستلحق بفكر المجتمع وثقافته، ليس فقط من التيارات المنكرة للخطاب الديني، أو التي تبني رؤى فكرية علمانية بل أيضا من الخطابات التي تبناها تيارات أخرى كثيرة والتي لا تعبر عن قيم الإسلام الحقيقي ولا تستهدف الدفاع عن الدين بقدر ما تستهدف الاستيلاء على العقول وإخضاع المجتمع برمته لأصحاب هذه الخطابات ومروجيها. (عمار، مرجع سابق، ص202)

وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة عدم الخلط بين تلك الآليات ومضمون الخطاب فلا خلاف على الحاجة الماسة والقصوى لتصحيح الخطاب الديني من حيث مضامينه ومحتواه، أما الوسائل والآليات فهي أيضا تحتاج إلى تطوير مستقل ومنفصل، فهي الوسيلة التي ينتقل من خلالها المحتوى بين منتج الخطاب والمتلقي، وما لم تكن تلك الوسائل على قدر من الكفاءة والفاعلية فإن ذلك سوف يؤثر في الاستجابة للخطاب ويقلل من فاعليته أيا كان مضمونه. (أبو عود، 2010، ص44)

مما يقتضي أن تكون الآليات على قدر كبير من التقنية والبساطة مع القدرة على الوصول للغير مع التطوير الدائم والمستمر، بالإضافة إلى ابتكار آليات جديدة غير مسبقة، بإمكان استخدام البعض منها حتى ولم تكن معنية من قبل بنشر الخطاب الديني حيث يمكن استثمار درجة انتشارها الكبير في مجالات أخرى لتحقيق أكبر نتيجة في صالح الترويج للخطاب الديني الصحيح، ولا يكون ذلك إلا بأهل العلم من المتخصصين في

الاتصالات ووسائل الدعاية، على ان يكونوا على دراية واسعة بقضايا الخطاب الديني والامام بجزئيات ذلك الخطاب. (عمار، مرجع سابق، ص204)

كما أن لمراجعة آليات الاتصال وحاجتها للتطوير من أجل إثبات مقدرتها على نقل الخطاب وتداوله بشكل مرضي أهمية كبيرة، فالهدف لا بد أن يتغير من مفهوم المواجهة إلى مفهوم البناء، مع ضرورة إدراك أصحاب الشأن والقائمين عليه بأن مسألة تطوير آليات الخطاب الديني أصبحت ذات أهمية قصوى في ظل تنامي وسائل الاتصال الحديث وانتشار الفضائيات، فضلا عن مواقع التواصل الاجتماعي التي تسمح بتداول الصوت والصورة، مع ضرورة مراقبة أداء تلك القنوات والوسائل نظرا لقدرة البشر على اختراقها والعبث بها من أجل تغيير محتواها والمضامين التي تحملها تلك الوسائل غير التقليدية والتي أصبحت تلاحق الانسان في كل مكان يوجد فيه. وقد أكدت الكثير من الشواهد أن وسيلة الاتصال لها تأثير بالغ على نجاح الفكرة ووصولها إلى الغير، وبدون الوسيلة الجيدة يكون الخطاب معرض للتلاشي ويصبح بدون أي قيمة حقيقية (الجديع، 1988، ص250)

فمما لا شك فيه أنه بالنسبة لبعض الوسائل التقليدية للخطاب الديني والتي تناولناها سابقا كالخطابة يمكن وبسهولة إدراك مدى تأثير الخطيب في جذب الجماهير على تلقي الخطاب الذي يراه مناسبا، فقد يكون صاحب فكر بسيط وعادي لكن الانبهار الذي يتحقق من الأداء يؤدي على الانصياع لفكرته والقبول بها ومحاولة نشرها

أما الخطاب الديني القائم على الكتابة فقد اشتهر الكثير من العلماء بقدرتهم عليه دون إبراز ذلك على صعيد جلب المتلقي والمستمع، والخلاصة أن الخطاب الديني أصبح بحاجة ماسة للحرية والانفتاح والحوار والمناقشة مع ضمان حق الرد من خلال المنابر الإعلامية وبعيدا عن الأماكن المغلقة، التي تهدد أمن المجتمع الذي نعيش فيه حتى لا يتعرض للاستغلال من طرف البعض، وحتى لا يتم استغلاله لأغراض سياسية وعموما فإن بلد كمصر تزخر بالعلماء والمفكرين والمؤسسات الدينية التي تعتبر مرجعية للعالم بأكمله، فالعملية تصبح أيسر عند تطوير وسائل الخطاب الديني. (دحمان، 2015، ص19)

#### 7-الخاتمة:

في الأخير يمكن القول بأنه من المهم جدا في أي خطاب وعلى أي مستوى أن نعرف ماذا نقول ولماذا نقول، كما يجب أن نحدد في خطابنا خصوصا الديني القضايا التي تهم المجتمع أولا، ونبحث هذه القضايا من خلال الاجتهاد الجماعي، على اعتبار أن الخطاب الديني الذي يمر عبر وسائل الاعلام ومختلف وسائل الاتصال الحديثة في مصر، ينظر إليه على أنه نوع من الترف الثقافي لا ينشغل به سوى المتخصصون، مما يجعل دوره محدود التأثير، حيث لم ترصد في آليات الاتصال الحالية والتي تستخدم للترويج للخطاب الديني أي رؤى شاملة للقضايا التي يجب أن يتناولها الخطاب الديني، فالأمر لم يتعدى مجموعة أفكار وأطروحات، مقالات وندوات إعلامية لم تؤسس لخطاب ديني شامل، فمازالت موضوعات الخطابات الدينية شديدة التقليدية، تقتصر على الوعظ، والحقيقة أن ذلك لا يقتصر على الخطباء العاديين بل أيضا على كبار العلماء الذين لا يطلقون من شاشات التلفاز وغيرها من وسائل الاتصال القريبة من الناس سوى النصائح الأخلاقية، وفي هذه الحالة على القائمين على الخطاب الديني وأنصارهم أن يدركوا أن المسألة لم تعد مجرد خطب جوفاء أو كلام مرسل عبر وسال الاتصال أي

كانت طبيعتها، إنما الأمر يحتاج إلى تطبيق عملي والخوض في غمار التطبيق ولا يجب أبداً أن يظل الخطاب الديني نظرياً إزاء المشاكل التي تعيشها الأمة الإسلامية عامة ومصر خاصة. وإن يعمل الخطاب الديني جاهداً لا للوصول إلى الحكم بل على بناء البشر وتكوين المجتمع الصالح القادر على النهوض بمرجعية إسلامية حقيقية.

#### 8- قائمة المراجع:

1. أشرف أبو العطايا، يحي الزيني، 2007، تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة، جامعة الأزهر.
2. أحمد عبد الله الطيار، 2012، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائني الجديد، حولية كلية أصول الدين، العدد 22، القاهرة.
3. أحمد أبو زيد، صور من الخطاب الديني المعاصر، مكتبة الأسرة، القاهرة، ب س.
4. جاك بيرك، 1980، جهود التجديد في الإسلام - الإسلام والفلسفة والعلوم، سيستر سيتي، دبلن، جمهورية إيرلندا.
5. طارق البشري، 1996، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع.
6. إسحاق رحمانى، 2008، دراسة عن أسلوب الحوار في القرآن الكريم، مركز النور للدراسات الإسلامية.
7. أحمد عرفات القاضي، 2008، تحديد الخطاب الديني، مكتبة الأسرة، القاهرة.
8. برهان غليون، سمير أمين، 2000، حوار الدولة والدين، ط1، دار الفكر العربي بيروت، لبنان.
9. محمد الحسيني، 1996، الاجتهاد والحياة، دار الغدير، بيروت.
10. محمد عبد الفتاح عمار، 2017، الخطاب الديني تجديد لا تبديد وتطوير لا تحريف، ط1، كنوز للنشر والتوزيع.
11. محمد النويهي، 2010، نحو ثورة في الفكر الديني، سلسلة الفكر الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12. محمد الكتاني، 2013، الخطاب الديني إلى أين، مجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب.
13. سليمان الخضاري، 2014، الخطاب الديني السياسي، مجلة رؤى، العدد 24، الكويت.
14. حمدي القريقري، 2014، المدخل إلى علم الدعوة، دار النهضة العربية.
15. زأحمد بوعود، 2010، فقه الواقع أصول وضوابط، كتاب الأمة، العدد 74.
16. الجديع، 1998، أضواء على حديث افتراق الأمة، ط1، مؤسسة الريان، بيروت.
17. غازي دهمان، 2015، ظاهرة اختراق الإسلام السياسي للرأي العام الغربي، مجلة شؤون عربية، العدد 163.